



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة الثالثة

النثر العباسي

المحاضرة الثانية/ فن الخطابة في العصر العباسي

أستاذ المادة: م.م ابراهيم خليل ابراهيم

٢٠٢٥ م ----- ٢٠٢٦ م

السمات الفنية للخطابة :-

- ١- البدء بالبسملة والتحميد لله ﷻ، والخطبة التي لا يذكر فيها ذلك تدعى (البراء).
- ٢- يجب أن توشح بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والأمثال والتي لا يذكر فيها ذلك تدعى (الشوهاء).
- ٣- أن يكون الخطيب أو المسترسل عارفاً بمواقع القوم فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة، ولا الإطالة في موضع الإيجاز، ولا يستعمل اللفاظ الخاصة في مخاطبة العامة، ولا كلام الملوك مع السوق بل يعطي لكل قوم من القول بمقدارهم.
- ٤- أن يكون الخطيب خالياً من العيوب اللسانية كالتأتأة، والفاءة، واللثغة.
- ٥- الصوت الجهوري والقدرة على الارتجال.

انواع الخطب في العصر العباسي: هناك أنواع كثيرة من الخطب في هذا العصر منها:

- أ- الخطب السياسية.
- ب- الخطب الحفلية.
- ت- الخطب الدينية.

أ- الخطب السياسية:

نشطت الخطابة السياسية في مطالع هذا العصر، إذ اتخذتها الثورة العباسية أدواتها في بيان حق العباسيين في الحكم، وكذلك تشريع القوانين التي تنظم الحياة السياسية للدولة العباسية، وعندما مات (ابو العباس السفاح)، خلفه أبو جعفر المنصور، ولم يكن في العباسيين أبين منه ولا أخطب، وفي عهده اندلعت ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي الملقب بـ (النفس الزكية) بالمدينة لسنة (١٤٥ هـ) وكل منهما يؤكد حقه

في الخلافة وإرثها عن الرسول الكريم محمد 6 ويشهر كل منهما السلاح في وجه صاحبه، كما يشهران الخطب ويرسلان سهام القول وكان محمد بن عبد الله لا يقل عنه سناً وفصاحة، ومن قوله في بعض خطبه: ((إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْقِيَامِ فِي هَذَا الدِّينِ أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَالْأَنْصَارِ الْمَوَاسِينَ اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ قَدْ أَحَلُّوا حَرَامَكَ وَحَرَّمُوا حَلَالَكَ وَعَمَلُوا بِغَيْرِ كِتَابِكَ وَغَيَّرُوا عَهْدَ نَبِيِّكَ وَأَمَنُوا مِنْ أَخْفَتِ وَأَخَافُوا مِنْ أَمْنَتِ، فَأُخْصِمَهُمْ عَدْدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا وَلَا تُبْقِ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدًا)).

ولا بد لنا أن نشير أن الخطبة السياسية في العصر العباسي الأول انتعشت ثم ضعفت لأسباب منها:

١- **ضعف الحكام السياسيين:** فلم يكن هناك إلاّ السيف أو الاذعان. وبذلك كُفِّمت الأفواه وهي لا تزدهر إلاّ حين تكفل للناس حرياتهم السياسية، ففي هذا العصر أخذ العباسيين الناس بالشدة فضعفت الأحزاب السياسية وذابت حريتهم في سلطانهم الباطش بكل من حدثته نفسه بخروج عليهم، وحقاً عادت الخطابة السياسية إلى الظهور في عهد الأمين وحروبه مع أخيه المأمون، ولكن لم تعد لها قوتها القديمة في العصر الأموي وما كانت تمتاز به من روعة تجذب الناس إلى الاستماع لكلام الخطيب والفتنة بأساليبه.

٢- **الإبتعاد عن الشفوي المرتجل إلى الخطابة المكتوبة.**

٣- **كثرة استعمال المحسنات البديعية.**

ب- الخطابة الحفلية:

وعلى نحو ما ضعفت الخطابة السياسية ضعفت الخطابة الحفلية التي كنا نعدّها في عصر بني أمية لأسباب منها:

١- لم تعد وفود العرب تَقْدُ على قصور الخلفاء، وبالتالي لم يعد خطباؤها يفدون عليهم.

٢- أُسْدِلَت الحجب بين الخليفة والرعية، ولم يعد يُلقَى وفودها ولا خطباءها المفوّهين.

٣- اقتصرَت الخطابة الخلفية على بعض المناسبات وكأن يموت للخليفة ابن أو بنت فيقف بعض الخطباء للتعزية، أو يموت خليفة ويتولى خليفة جديد فيجمع بعض الخطباء بين التعزية والتهنئة، من مثل قول ابن عقبة للمهدي يهنئه بالخلافة ويعزيه في أبيه المنصور: ((آجر الله أمير المؤمنين قبله، وبارك لأمر المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده، فلا مصيبة اعظم من فقد أمير المؤمنين، ولا عُقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين، فأقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية، واحتسب عنده أعظم الرزية)).

وعلى هذا النحو أصبحت الخطابة الحفلية شيئاً نادراً يقال في الحيف الطويل بعد الحين. وبذلك تضاءلت كما تضاءلت الخطابة السياسية.

ت- الخطابة الدينية:

وقد ظل للخطابة الدينية وما أتصل بها من وعظ أزدهارها في هذا العصر وكان محورها عنصري (الدين، والسياسة)، ويمكن إبراز خصائص الخطبة الدينية بالآتي:

- ١- قوة اللغة ومتانة الأسلوب.
- ٢- الدقة في اختيار الألفاظ.
- ٣- الاحساس المرهف بجمال السبك والصياغة.
- ٤- قوة التأثير، لأن الدين يمسُّ شفاف قلوب المؤمنين فهو من صميمه.
- ٥- تقوم على الوعظ وتشخيص عيوب الحكم، وانحرافاتة وتهدي المعنيين بشؤون البعض إلى جادة الصواب.
- ٦- فيها الجرأة والصراحة والابتعاد عن المجاملة.
- ٧- تدافع عن مصالح الرعية وتذود عن ضعفائهم وتنتصف للمظلومين.
- ٨- يكثر فيها الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مما يزودها حسناً وبهاءً وقوة التأثير في السامعين.

وعلى نحو ما كان الخلفاء والولاة يشاركون فيها لعصر بني أمية كانوا يشاركون فيها أيضاً لهذا العهد إذ نجد للرشيد خطبة، كما نجد للمهدي خطبة ماثورة وفيها يقول: ((عباد الله إنكم لم تُخْلَقُوا عبثاً ولن تُتْرَكُوا سُدىً، حَصَّنُوا إيمانكم بالأمانة ودينكم بالورع وصلاتكم بالزكاة، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ولا صلاة لمن لا زكاة له)). إنكم سَفَرُ مجتازون وأنتم عن قريب تُنْقَلُونَ من دار فناء إلى دار بقاء، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة وإلى الرحمة بالتقوى وإلى الهدى بالإنابة، فإن الله تعالى ذكره، أوجب رحمته للمتقين ومغفرته للتائبين وهداه للمنيبين)).

كما نجد (الرشيد) يستنُّ سُنَّةً كانت مبنياً في أن تضعف هذه الخطبة على ألسنة الخلفاء، إذ طلب إلى الأصمعي أن يعدَّ لأبنه الأمين خطبة يُخاطب بها يوم الجمعة، كما طلب إلى اسماعيل اليزيدي وابن أخيه أحمد أن يُعدَّ الخطبة مماثلة يخطب بها المؤمنون، وبذلك سنَّ الخلفاء أن يخطبوا بكلام فيهم.

وإذا كانت الخطابة الدينية أخذت تضعف على لسان الولاة والخلفاء فإنها أُنِعت في بيئة الوعاظ والنساک ومن كانت تزخر بهم مساجد بغداد، والبصرة، والكوفة، وكانوا أخلاطاً من الزهاد والفقهاء والمحدثين والمتكلمين، وكان بعضهم يلجأ بمجالس الخلفاء لوعظهم، وأحياناً كانوا يستقدمونهم، فيعظوهم حتى يبكوهم، بما يوقعون في نفوسهم من خشية عقاب الله وبما يصورون لهم من زفير جهنم، وهم في تضاعيف ذلك يزرعوهم عن ظلم الرعية واقتراف المعاصي والسيئات. ومن كبارهم الذين عرفوا بمقاماتهم المحمودة بين أيدي الخلفاء الثلاثة هم: (عمرو بن عبيد المعتزلي الزاهد المشهور واعظ المنصور، وصالح بن عبد الجليل واعظ المهدي، وابن السماك واعظ الرشيد).

وكان ابن السماك محدثاً وواعظاً مؤثراً، وله كلام ومواقف بين يدي الرشيد تدور في كتب التاريخ والأدب، ومما يؤثر عنه أنه دخل عليه يوماً، فقال له الرشيد: عِظْنِي، فقال: ((يا أمير المؤمنين اتَّقِ الله وحده لا شريك له، واعلم أنك واقفٌ غداً بين يدي الله ربك ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما جنة أو نار)). فبكى الخليفة هارون حتى اخضلت لحيته.

وكان هؤلاء الوعاظ يستمدون دائماً من الذكر الحكيم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأقول أصحابه ومن سبقوهم إلى الوعظ في العصر الأموي مثل الحسن البصري، وكان كثير منهم يمزجون وعظهم بالقصص الديني وتفسير بعض آي القرآن الكريم وهو مزج قديم منذ صدر الإسلام الأول.